التنظيم الإداري والعسكري ببايلك الغرب الجزائري

الدكتور كمال بن صحراوي، جامعة ابن خلدون. تيارت
kamam67@gmail.com

ملخص: المقصود ببايلك الغرب الجهة الغربية من الجزائر، والتي عاشت ظروفا خاصة بعد سقوط تلمسان عاصمة الزيانيين، وسيطرة الإسبان فيها على وهران والمرسى الكبير، وهو ما جعلها تعرف حركية مستمرة ميزها الصراع العسكري مع الإسبان والمغرب الأقصى. وقد استدعى ذلك تبني استراتيجية خاصة ركزت على تغيير العاصمة والاعتناء بالتنظيم العسكري والإداري لتسيير المدن والتحكم في الأرياف خصوصا الواقعة على الحدود المغربية والقريبة من مدينة وهران.

ومن خلال هذه التفاعلات المختلفة تبدو نجاعة التنظيم الإداري والعسكري الذي استحدثته السلطة العثمانية ببايلك الغرب، وإلا لكانت هذه المنظومة قد انهارت ولم تستطع تحمّل تبعات الوجود الإسباني وتحالف بعض القبائل معه. غير أن هذا التنظيم - من جهة أخرى -لم يسلم من النقص، فمثلما حافظ على البلاد وحمى حدودها ووفر الأموال للخزينة تحول إلى أداة بيد السلطة لطالما روّعت الآمنين وأجبرت البسطاء على دفع الضرائب بل وسلبتهم أراضيهم وهجرتهم منها.

الكلمات المفتاحية: تنظيم - إداري – عسكري - بايلك – الغرب - الجزائري

Abstract:

The meaning of Beylik al Gharb" is the western side of Algeria, which lived in special circumstances after the fall of Tlemcen, Zayanide capital, and with the Spanish control over Oran and Mers el Kebir, which made it witness an ongoing mobility characterized by the military conflict with Spain and Morocco. This necessitated the adoption of a special strategy focused on changing the capital and taking care of the military and administrative organization to control the urban and countryside management, especially on the Moroccan border and the vicinity of Oran city.

Through these various interactions, the administrative and military organization developed by the Ottoman authority in the western Beylik appears efficient. Otherwise, this system would have collapsed and could not bear the consequences of the Spanish presence and its alliance with some tribes. On the other hand , this organization was not perfect, just as it preserved the country and protected its borders and provided funds to the treasury, it turned into a tool in the hand of the government and intimidated the simple people and forced them to pay taxes and even abandon their lands

تقديم: عرف المغرب الأوسط تنظيما جديدا عقب التحاقه بالدولة العثمانية، حيث قسمت البلاد إلى أربعة أقاليم كان بايلك الغرب واحدا منها. غير أن قربه من إسبانيا جعله هدفا لهجمة كبيرة في بداية ق 16م انتهت باحتلال وهران والمرسى الكبير، وأحدثت به مجموعة من التغيرات الأساسية التي مست المجتمع والدولة. فقد انساق كثير من القبائل وراء السعي للربح الذي يحققه تزويد الحاميات الإسبانية، وهو ما جعل الدولة الناشئة تعاني صعوبات جمة في إطار التجاذب الحاصل في المنطقة.

كما أن موقع بايلك الغرب بمحاذاة المغرب الأقصى جعله في الواجهة حين تعلق الأمر بمحاولات توسعية عملت السلطة العثمانية بالجزائر على استغلالها لإخضاعه، غير أن ظروف البلاد الداخلية والتحرشات الإسبانية مكنت المغاربة من الرد القوي في كثير من الأحيان، وهو ما عرّض بايلك الغرب إلى متاعب عديدة كان نصيب الريف منها وافرا للغاية[**حين تحدث الحسن الوزان عن إقليم بني راشد حدد طوله بخمسين ميلا وعرضه بخمسة وعشرين، وقسّم سكانه إلى قسمين: سكان المرتفعات وسكان السهول الذين "يقيمون في البادية ويعيشون تحت الخيام معتنين بماشيتهم" فاعتبر إقليم بني راشد جنوب المرتفعاتِ باديةً، رغم أنه عبارة عن سهول خضراء حتى في أقصى حدوده الجنوبية إذا أخذنا الأبعاد التي حددها بعين الاعتبار وهي المساوية لخمسة وعشرين ميلا أي ما يعادل أربعين كيلومترا، وهو من الناحية الجغرافية ما يقع جنوب سيدي قادة بقليل]. (الوزان، ح. 1983: 26)**.

بايلك الغرب تاريخيا وجغرافيا:

كان لفظ البايلك يستخدم للدلالة على نوع من الإيقاع الخاص بقدماء ضباط الإنكشارية المتقاعدين، ثم استخدم في الجزائر للدلالة على الإقطاعات التي تؤخذ منها الضرائب، ثم أصبح يستخدم للحديث عن الحكم الإداري العثماني في البلاد **(سعيدوني، ن. 2000: 286)** ، وبالتحديد عن المقاطعات الإدارية الكبرى، بعد دار السلطان. وإن كان مفهومه أوسع حيث دل على الإدارة العامة والسلطة وكل شيء عمومي تابع للدولة في مجموع القطر الجزائري **(مروش، م. 2009: 418)**.

ويعود تاريخ ظهور بايلك الغرب إلى النصف الأول من ق 16م، وذلك خلال حكم حسن بن خير الدين (1540م-1552م) حين قسمت البلاد إلى 04 مقاطعات، وفي 1563م أصبحت مازونة عاصمة البايلك **(ابن ميمون، م. 1981: 16)** ، وتولى الحكمَ فيها الباي ابن خديجة الذي عينه حسن آغا على الناحية الغربية سنة 1563م، وبذلك يعتبر بمثابة الباي الأول نظرا لعمله على إقامة تنظيم إداري بالبايلك.

ويؤكد الآغا بن عودة المزاري تشكيل الأتراك في الجزائر لبايلك الغرب بعد دار السلطان، ويذكر أنه كانت له عاصمتان؛ مازونة وتلمسان، فكان يسمى ببايلك مازونة **(الزياني، م. 2007: 148)** ، وفي 1686 جمعت العاصمتان وصارت القاعدة قلعة واقعة بإقليم بني راشد وتنسب إليهم، **[ذكر مسلم بن عبد القادر**

الوهراني أن قلعة بني راشد هي أول عاصمة لبايلك الغرب وفيها قتل الإسبان إسحاق أخا عروج وخير الدين] (الوهراني، م. 1974: 19) وهذا الإقليم يمتد على طول 50 ميلا من الشرق إلى الغرب وعلى عرض يقارب 25 ميلا، جنوبُه سهل وشماله مرتفعات، ثم صارت معسكر ثم وهران بعد الفتح الأول لتنتقل إلى مستغانم ثم إلى معسكر ثم إلى وهران بعد الفتح الثاني **(المزاري، ب. 2009: 271)**.

وقد تحكمت ظروف في هذا التقلب بين المقرات المختلفة، حيث نُقلت العاصمة إلى معسكر عام 1701م حتى تتوسط المنطقة، لينقلها الباي بوشلاغم **[باي الغرب من 1696م إلى 1737م]** إلى وهران عام 1708م بعد نجاح حملة قادها بهدف تحريرها من الاحتلال الإسباني. وبعد عودة الإسبان من جديد إلى وهران عام 1732م انتقل الباي إلى مستغانم لتظل بها العاصمة حتى 1737م، وهي السنة التي توفي خلالها، وبعد وفاته عادت العاصمة إلى معسكر لتظل بها حتى تحرير وهران الثاني عام 1792م من قبل محمد بن عثمان الكبير الذي اتخذها عاصمة لحكمه **[كان الباي يقال له "باي الولاية الغربية" أو "باي معسكر" حتى تم تحرير وهران فكان محمد الكبير أول من حمل لقب "باي وهران"] (Esterhazy, W. 1840: 197)**، وقد ظلت كذلك حتى قضى الفرنسيون على الحكم العثماني بالجزائر.

واتخذت السلطة العثمانية بهذا البايلك صبغة حربية نظرا لظروف ثلاثة: لتوتر العلاقات بينها وبين المغرب الشريفي، لاحتلال الإسبان لوهران والمرسى الكبير مدة طويلة، ولانتفاضة الطريقتين الدرقاوية والتيجانية – ومعهما كثير من القبائل - ضد السلطة المركزية.

ويعادل بايلك الغرب تقريبا القطاع الوهراني حاليا، وقد كانت حدوده كالآتي:

غربا: المغرب الأقصى / **شرقا:** دار السلطان وبايلك التيطري / **شمالا:** البحر المتوسط / **جنوبا:** الصحراء. **(Rinn, L. 1900 : 51)**.

ومن الباحثين من أعطى حدودا أدق للبايلك حيث اتخذ نهر الشلف حدا شرقيا والملوية حدا غربيا له **(الواليش، ف. 1993: 16)**، غير أن الزهار يذكر أن الناحية الغربية كلها كانت بيد باي وهران، الذي له خليفة وقواد وآغوات، وحكمه ينتهي إلى بوحلوان **[الحسينية حاليا بولاية عين الدفلى]** وإلى عمالة باي التيطري **(الزهار، أ. 1972: 47)**. وإذا كانت مليانة قد مثلت الحد الشرقي لبايلك الغرب حين كانت عاصمته مازونة فإنها ضُمت إلى دار السلطان في ق 18م لتعود إليه مرة أخرى في أوائل ق 19م **(بوغوفالة، و. 2001: 220)**.

ويحوي بايلك الغرب سهولا عديدة كان سهل الشلف من أهمها لكونه يحوي أراضٍ خصبة يعبرها الطريق السلطاني الرابط بين البايلك ودار السلطان **(شويتام، أ. 2006: 187)** ، إضافة إلى سهل غريس وسهل السرسو وسهول تلمسان وسعيدة وسيدي بلعباس، ورغم هذا اعتبر حمدان خوجة بايلك الغرب "أقل خصبا وأقل اتساعا من مقاطعة قسنطينة" **(خوجة، ح. 1982: 93)**.

منظومة البايلك الإدارية والعسكرية

كان الأصل في علاقة البايلك بالسلطة المركزية خضوعه لها، ويتجلى ذلك في تعيين الباي والخليفة الكبير من مدينة الجزائر، وتبعية آغا الدايرة مباشرة للداي، كما تعتبر الضرائب بأنواعها المختلفة والمرسلة إلى الداي في شكل الدنوش بقسميه الكبير والصغير دلالة على ولاء الباي لدار السلطان. ضف إلى ذلك قيام البايلك بوضع قواته في خدمة الإيالة عند الضرورة، فقد أدب محمد بوكابوس باي الغرب ومخزنُه قبائلَ عريب التي كانت تسكن بين بايلك التيطري وبايلك قسنطينة، وقد عصت أمر السلطة فظهر للداي أن هذا الباي هو الذي يصلح لمهمة تأديبها، رغم بُعد المكان وعدم تصرفه عادة في غير رعيته. **(الوهراني، م. 1974: 99-101)**.

وفي مقابل هذه التبعية والولاء تتكفل دار السلطان بتوفير الجيوش للبايلك عند الحاجة، وتقديم المساعدات في حال وقوع كوارث طبيعية. ولا ننسى مسألة أمن البايلك الخارجي الذي يندرج ضمن سيادة البلاد، فقد كانت الإيالة تتكفل مثلا بالمفاوضات مع الإسبان حين تعلق الأمر بتحرير وهران، كما لم تغب دار السلطان عن مسألة الصراع بين بايلك الغرب والمغرب الأقصى.

وعلى غرار بقية البايلكات، لم يتأثر بايلك الغرب مباشرة بالحكم المركزي بمدينة الجزائر، على عكس دار السلطان التي كانت بحق مقاطعة مركزية خضعت لتنظيم محكم وتسيير مركزي لقربها من مقر السلطة ولخضوعها مباشرة للداي. وإذا كان بُعد بايلك الغرب لم يُعفِه من الخضوع لتنظيم إداري مشابه لذلك السائد في دار السلطان، فإنه حال دون تبلور الأنظمة الإدارية فيه، وأبعد سكان الأرياف عن المراقبة الفعلية والمباشرة رغم حضور البايات القوي على الساحة السياسية **(سعيدوني، ن. 2000: 273)**.

ولتسهيل التواصل بين الباي ودار السلطان عُين له وكيلٌ كاتبٌ له مكتب على مقربة من قصر الجنينة حيث مقر السلطة المركزية، فإذا جاء السيار من عند الباي نزل أولا عند الوكيل بالمكتب ليطلعه على ما في الرسالة، وذلك حتى يعرف كيف يتحدث مع الباشا فيما بعد، ثم ينتقلان إلى القصر، وحين يدخلان عليه يسلمه الكاتب الرسالة ويقف فيأذن لهما بالجلوس، ثم يسألهما عن الباي فيقرئانه السلام منه، ثم إذا كان في الأمر ما يستحق الحديث حدثاه فيه، ثم تُقدم لهما القهوة فيشربان وينصرفان بعد التسليم على الباشا، ليسلّم الوكيل جميع الرسائل التي باسم الوزراء، أما السيار فيبيت بدار المُلك **(الزهار، أ. 1972: 36)**.

موظفو البايلك: ارتبط تنظيم البايلك ارتباطا عضويا بولاء القبائل الخاضعة أصلا لسلطة شيوخها، ومن هنا عملت السلطة العثمانية على هيكلة هذه القبائل ضمن تنظيم هرمي يسمح بتسييرها، حيث شكلت كل مجموعة من القبائل وطنا على رأسه قايد، **[سمي الوطن نسبة إلى مدينة كالوطن المازوني،**

وأحيانا إلى منطقة طبيعية كالوطن الغريسي، وأحيانا أخرى إلى قبيلة كالوطن الراشدي الذي ينتسب إلى بني راشد] وكل مجموعة من القيادات تشكل آغاليك يكون تحت تصرف الآغا أو قايد القياد، بينما يشرف الباش آغا أو الخليفة على مجموعة من الآغاليكات ليصبح كل هذا تحت مسؤولية الباي **(دحماني، ت. 2009: 156)**.

الموظفون بالمدن:

الباي:

حين حَكَمَ محمد الكبير كان البايات يسمَّوْن بايات الولاية الغربية أو بايات معسكر **(الزهار، أ. 1972: 35)**، وكان الباي الكبير أول من سمي بباي وهران لدوره في تحريرها، ثم حافظ البايات بعده على هذا حتى انهيار الحكم العثماني بالجزائر **(Esterhazy, W. 1840: 197)**.

والباي هو أول مسؤول عن المنطقة، يعيَّن من قبل السلطة المركزية، ويكون عادة من الموظفين الكبار بدار السلطان، أو من الذين شغلوا منصب خليفة باي سابق، أو منصب قايد كالباي محمد الكبير الذي كان قايد على فليتة، وكانت قيادتها هي الأهم على مستوى بايلك الغرب **(Guorgos, W. 1856: 406)** ، "ومن يتولى قيادة فليتة وتلمسان فإنه يسوغ له أن يتولى بايا إذا كانت له إعانة بالجزائر" **(المزاري، ب. 2009: 275)**. وقد ذكر الباحثون مسألة اللجوء إلى دفع الأموال للحصول على منصب الباي **(Esterhazy, W. 1840: 239 / Chitour, C. 2004: 79)** ، فبعد وفاة الباي إبراهيم دفع الحاج خليل، وهو أحد الأغنياء، مبالغ هامة للخزينة ليأتي القرار بتعيينه بايا على معسكر **(Guorgos, W. 1856: 408)** .

وللبايات سلطة مطلقة في بايلكاتهم، فهم ملوك بها وهم أقل عرضة لخطر الموت مقارنة بالدايات في الجزائر **(De Tassy, L. Sans date: 232)** . لكن خضوع الباي لدار السلطان يحد من هذه السلطة، ذلك أن الداي كان يجبره على استشارة أعضاء الديوان المحلي، وتقديم الدنوش **[سن الباي بوخديجة سُنة نقل الدنوش إلى العاصمة منذ السنة الثانية لتوليه منصب باي الغرب، وكان ذلك في 1564] (Esterhazy, W. 1840: 165)** كدليل على الخضوع والتبعية، والقبول بوجود آغا الدايرة الذي يتجاوز الباي فيتلقى أوامره مباشرة من الداي.

مهام الباي:

- تسيير شؤون البايلك
- الإشراف على القوات العسكرية والتكفل بدفع أجور موظفي البايلك

- جمع الضرائب والحرص على توفير موارد قارة لخزينة البايلك، وهو بذلك يوفر موارد لخزينة الإيالة، بحمل الدنوش الكبير مرة كل ثلاث سنوات إلى دار السلطان، وكان التعبير عن هذا في البايلك بالقول "يدنش الباي" أو "يشرق الباي" **(Esterhazy, W. 1840: 172)** ، وببعثِ الدنوش الصغير مرتين في العام مع خليفته.
- السهر على حماية الأمن خصوصا الأمن عبر الطرق السلطانية الرابطة بين البايلك ودار السلطان. ويعتمد الباي على الحامية العسكرية أو على رجال المخزن **[شاع اسم المخزن لكون غلال الدولة كانت تخزن في المخازن العامة] (بن حموش، م. 2000: 267)** ، كما يلجأ إلى عقد تحالفات مع شيوخ القبائل وزعماء الطرق الدينية.

1- ديوان البايلك:

يماثل أعضاؤه أعضاء ديوان الداي من حيث الصلاحيات. ويتكون من:

أ- الخليفة:

كان للباي خليفتان؛

- **خليفة الشرق:** سمي هكذا لأن منطقة نفوذه كانت تشمل سهول الشلف الغنية والواقعة شرق مازونة **(الواليش، ف. 1993: 18)** ، وكان ينوب عن الباي في الخروج إلى الرعية لجمع مال الدولة منها، ويمثله أيضا في مدينة الجزائر **(المزاري، ب. 2009: 271)** حين يحمل الدنوش الصغير مرتين في السنة ربيعا وخريفا. وحدث أن صار الخليفة مكلفا من قبل الباي بحمل الدنوش الكبير أيضا إلى مدينة الجزائر، كما حدث مع الباي مصطفى بوشلاغم الذي كلف خليفته محي الدين المصراتي بذلك خوفا من التصادم مع الداي **(Esterhazy, W. 1840: 173)**.

كما كان خليفة الشرق يعرف بالخليفة الكبير لكونه يلي الباي مرتبة، ويدل على ذلك تعيينُ الداي له، وقيادتُه للمحلات التي تجرّد ضد القبائل العاصية أو الثائرة، ومسؤوليتُه عن القادة والقوات النظامية. وكانت تحت يده 23 قبيلة بمحيط الشلف، 12 قبيلة بنواحي تنس، وتنقسم هذه القبائل إلى سهلية وجبلية.

من القبائل السهلية: عياشة، بنو زروال، أولاد بو رحمة، أولاد خلوف، زريقة، عشعاشة، أولاد يونس، بني زنطيس، بني مديونة، بني مدون، صبيح، حميس، أولاد فارس، أولاد قصير، سنجاس، العطاف، بنو حميد. ومن القبائل الجبلية بنو وراغ، بنو مسلم، حلوية، شكلة، البصرة، مطامطة، الونشريس أي قبائل هذه الجبال، بنو بدوان، أولاد عياد والبسناس **(دحماني، ت. 2009: 153)**.

- **خليفة الكرسي:** يعينه الباي، وهو بمثابة آغا البايلك لكونه ينوب عن الباي في قاعدته بالجلوس على الكرسي حين يغيب سواء في محلات لجمع الضريبة أو في حال تقديم الدنوش إلى الداي، ومن ذلك مثلا أن الخليفة سليم ناب عن آخر بايات وهران حسن حين قاد حملة على عين ماضي غاب بسببها عن المدينة مدة أربعة أشهر**(Esterhazy, W. 1840: 220)**. غير أن خليفة الكرسي قد يرافق الباي في رحلته إلى مدينة الجزائر لنقل الدنوش، وقد حدث هذا مع الباي عصمان مثلا**(Esterhazy, W. 1840: 244)**.

ب- آغا الدايرة أو خوجة الخيل: يسمى أيضا قايد الدايرة، وهو المسؤول الأول عن مراقبة الحراس وإدارة أملاك الدولة **(ابن ميمون، م. 1981: 34)** ، وكان بذلك أحد قادة المخزن، حيث كلف بالإشراف على فرسان البايلك العرب الذين خصصت لهم أعلام وشارات خاصة. يستشيره الباي في حلول متعلقة بالرعية بعد أن ينقل إليه شكاواها ومطالبها **(بوجلال، ق. 2008: 11)**. لكن مهامه كانت أكثر خطورة حيث تَحوّلَ إلى عين للسلطان على الباي، بل منفّذ لأمره بعزل الباي والحلول محله في انتظار وصول الباي الجديد **(سعيدوني، ن. 2000: 243)**.

ت - آغا الزمالة: ويسمى الباش سايس، وكان مسؤولا عن حيوانات البايلك وحمايتها والاعتناء بها **(بوعزيز، ي. 2009: 49)**.

ث- قايد المدينة: صاحب مكانة مرموقة خاصة على مستوى المدن الهامة ، ويظهر ذلك من أن قائد مدينة تلمسان كان يعينه الداي. ويكون هؤلاء القياد من أصل تركي، لكن وظيفتهم غير وراثية، تحرسهم فرق الإنكشارية التي تسكن في ثكنة وتحمل الأسلحة الثقيلة **(سماتي، م. 2007: 64)**.

ج- الباش خزناجي (الخزندار): المسؤول الأول عن مداخيل البايلك ونفقاته، ويعتمد على كثير من البايانات ضمن سجلات يساعده في ضبطها باش كاتب وكاتبان، ويسمى خوجة الخيل بالتركية آت خوجاسي AT KHOJASI ونظرا لأهمية منصبه نجده يشرف على تجنيد فرسان المخزن **(سعيدوني، ن. 2000: 226 - 243)**

ح- شيخ البلد: يتكفل بشؤون سكان المدينة، ويصبح المسؤول الأول عنها في غياب الباي لكونه ينوب عنه، ونظرا لأهمية منصبه أوكلت إليه مسألة الإشراف على الجند حيث يتكفل بأجورهم ومؤونتهم. كما توكل إليه بعض المسائل الحساسة كسِرية العقوبات حيث تُحبس في بيته وتعاقب سِرِيًّا النساءُ اللاتي تنحدرن من عائلات معروفة وترتكبن مخالفات **(De Tassy, L. Sans date: 236)**.

خ- باش المكاحلية: رئيس حرس الباي الخاص، يحمل أسلحة الباي في الحفلات العامة **(بوعزيز، ي. 2009: 50)**. وكان للباي 15 مكاحلية يحملون البنادق، ومهمتهم حراسة خزائن الباي بالتعاون مع الشواش المكلفين بحراسة خيمته **(Esterhazy, W. 1840: 246)**.

د- الباش كاتب: له مهمتان أساسيتان؛ حيث يشرف على مراسلات الباي من جهة ويحفظ ذخائره المالية وسجلاته العقارية من جهة أخرى.

ملاحظة: للباي كاتبان عربيان:

الكبير: كاتب السر ويعرف بباش تافتار **(سعيدوني، ن. 2000: 244)**

الصغير: يكتب الرسائل ويسجلها **(المزاري، ب. 2009: 272)**.

ذ- الباش سيار: وهو أيضا الباش سَرّاج الذي يعتني بخيول الباي وإصطبلاتها ويجهز له حصانه حين يريد الخروج من المدينة **(سعيدوني، ن. 2000: 244)**.

وهناك موظفون آخرون يشتغلون لدى الباي مناصبهم أقل أهمية، ذكر المزاري مجموعة منهم نجملهم فيما يلي **(المزاري، ب. 2009: 273)**:

8 شواش (4 أتراك و4 عرب) يقومون على خدمته، 7 طبول وغوايط، عدة سناجيق، قايد الدار، قايد السلاق، قايد الكرسي، قايد الطابع، قايد الجنان، الطزبير الذي يتولى قطع الرؤوس بأمر من الباي.

هذا إضافة إلى قايد المقصورة (الحاجب)، قايد الدريبة (حارس باب القصر الرئيسي)، قايد الجبيرة (حامل محفظة الباي)، قايد السبسي **[السبسي هو الدخان] (سعد الله، أ. 1985: 250)** (حامل غليون الباي)، قايد الطاسة (يحمل الآنية ويحضر ما يشربه الباي) **(سعيدوني، ن. 2000: 246 - 234)**

الموظفون بالأرياف:

أ- الآغا:

اختلف في أصل كلمة آغا، فقيل تركية من المصدر "آغمق" ومعناه الكِبَر و تقدّم السن، وقيل إنّها من الكلمة الفارسية "أقا" وتطلق في التركية على الرئيس و القائد وشيخ القبيلة، وعلى الخادم الذي يُؤذن له بدخول غرف النساء. وقيل هي كلمة مغولية معناها الكبير والرئيس والشريف. واستعملت كلمة آغا عند العثمانيين لقبا بمنزلة "خواجا" و"أفندي"، ويُلقّب بها كبير الخدم والأخ الأكبر وكبير البيت ورؤساء الإنكشارية. أمّا عن آغا العرب فهو قائد فرق الإنكشارية **(بركات، م. 2000: 173)**.

والآغا في بايلك الغرب هو الوزير، وللباي وزيران ينظران في شكاوى الرعية، ثم يعرضانها عليه، ولهما دور كبير في القرارات التي تصدر بهذا الشأن، ولذا يستشيرهما الباي كثيرا **(المزاري، ب. 2009: 272)** وهما:

ب- قايد آغا:

هو من أعيان الدوابر **[من الإحاطة، ولفظها بالعامية "اللي يدورو بـ..." أي الذين يحيطون بـ....] (Esterhazy, W. 1840: 320)** وله دائرة حكم تشمل الزمالة، الغرابة، مجاهر، فليتة، رعية خليفة

الشرق، بني عامر، جميع الجهة الغربية حتى وجدة ماعدا تلمسان وأحوازها، بني وعزان، أولاد ميمون، أولاد بالغ، بني مطهر، الجعافرة الغرابة، سائر الحشم، اليعقوبية، أرزيو، بني شقران، البرجية، زدامة، الحارث، خلافة، فرندة، الكسانة، الأحرار، أولاد شريف، أولاد لكرد، أولاد خليف، سويد**[سويد قبيلة هلالية كانت على رأس إمارة مركزها تنس بين قبر الرومية بتيبازة حاليا وسهل الشلف، وقد قامت بثورة عرفت بثورة المحال ضد العثمانيين] (سماتي، م. 2007: 103)**، أولاد عابد، أولاد عياد، بني مديان. ونظرا لأهمية المنصب كان يُشترى من الباي بمبالغ هامة.

ت- قايد كبير:

هو من أعيان الزمالة **[مزملين أي مخيمين في مكان ما]**، وتحت سلطته خمسة أعراش؛ الزمالة، الغرابة، اليعقوبية، مجاهر، حميان. وقد ذكر أسترازي أن باي وهران كان له أربعة آغوات، اثنان من الدواير وآخران من الزمالة يكمن دورهم في تنصيب القياد والإشراف على جباية الضرائب بمنطقة اليعقوبية التي كانت أغنى منطقة في بايلك الغرب. ونظرا لأهمية هذا المنصب كان يُشترى من الباي بمبالغ هامة، غير أن منصب آغا الدواير كان أكثر أهمية منه حيث يدفع مقابل تقلده 40000 ريال بوجو، بينما يُدفع نصف المبلغ مقابل تقلد منصب آغا الزمالة **(Esterhazy, W. 1840: 267)**.

كما كان الآغا يترأس ديوانا فيه الأوداباشي والبولكباشي ووكيل الحرج والكاهية مهمته المحافظة على حقوق الأتراك والكراغلة في المدن التي لا يسكنها البايات. ولذلك صاروا يتلقون مكافآت زيادة على أجورهم نظرا للخدمات التي كانوا يقدمونها لهذه الطائفة.

ث- القايد:

يعينه الباي أو آغا الناحية التي ينتمي إليها ليشرف على مجموعة من الدواوير تعرف بالوطن، وهذا المنصب له أهمية كبرى تتضح من خلال المهام التي توكل إلى صاحبه، وهي الإشراف على عمل شيوخ القبائل، السهر على أمن الطرقات، جمع الضرائب، مراقبة الأسواق، الفصل في الخلافات، توزيع الأراضي الفلاحية (أراضي العرش) على العائلات والسهر على تنفيذ القوانين وتبليغ تدابير الحكومة **(خوجة، ح. 1982: 93)**.

والأوطان التي يرأسها القياد مقاطعات شاسعة ذات طابع ريفي، وإدارتهم لها تمنحهم سلطة واسعة، ولذلك يرتدون البرانيس الحمراء دلالة على الجاه والمكانة المرموقة **(سعيدوني، ن. 2000: 246 - 234)**. ولكي يؤدي القياد مهامهم على أكمل وجه عهدت إليهم السلطة بقوة عسكرية تعرف بالقوم أو المكاحلية أو الزمالة "متاع القايد" **(دحماني، ت. 2003: 41)**.

ج- شيخ القبيلة:

الشيخ لغة من استبان فيه السن، ويطلق مجازا على المعلم والأستاذ لكبره وعظمه، وجمعه شيوخ **(الكتاني، ع. 1982: 624)**. وقد مثل شيخ القبيلة سلطة فعلية باعتباره أول من له احتكاك مباشر مع القبيلة، حيث يشرف على تنظيم المعاملات الاجتماعية والقضائية والاقتصادية بما فيها جمع الضرائب **(دحماني، ت. 2003: 41)** ، ولذلك عمل البايلك على إعطائه صورة تليق بالسلطة التي يمثلها حيث يتم تنصيبه من قبل الباي وبحضور كبار الموظفين، ويعطى له الخاتم ويُلبس البرنوس الأحمر وذلك كله خلال حفل بهيج. ويتم تمييزه في القبيلة حيث تكون خيمته وسط بقية الخيام الأخرى ويختار لها مكان أرفع مقارنة بغيرها **(De Tassy, L. Sans date: 55)**.

ولا يُختار الشيخ إلا من بين الشخصيات ذات النفوذ والولاء للبايلك، فيراقب الأشغال خلال موسمي الحرث والحصاد، ويقسم الأراضي بين العائلات حين تكون مشاعة، كما يشرف على توزيع الماء وأراضي الرعي، ويحدد مكان استقرار القبيلة عند تنقلها، ويراقب الأسواق ويفرض الغرامات في المناطق البعيدة عن نظر القايد، وتتعزز مكانته أحيانا حتى يبسط نفوذه على العديد من القبائل فتصبح له مكانة القايد ذاته إلا أنه يلقب بشيخ الشيوخ **(سعيدوني، ن. 2000: 246 - 278)**.

ح- الدلال:

ينادي في الأسواق للتعريف بسلعة ما مقابل سهم من ثمن بيعها، كما يتوسط بين البائع والمشتري للتوفيق بينهما **(بن حموش، م. 2000: 270)**.

خ- البراح:

ينادي في الأسواق والساحات العامة لتبليغ الناس الأوامرَ الصادرة عن السلطة خصوصا المتعلقة بالإعدام وفضح المجرمين والتشهير بهم **(بوعزيز، ي. 2009: 51)**.

د- قايد العشور: منصبه ذو أهمية اقتصادية حيث يشرف على تحديد مبلغ العشور الذي تدفعه كل قبيلة **(دحماني، ت. 2003: 41)**.

قوات البايلك العسكرية:

1- النوبة: كانت النوبة مخصصة لحراسة المدن وبعض المراكز، ولا تغادرها بأي حال من الأحوال، أما أفرادها فيتم تغييرهم كل سنة في بداية الربيع. وتكون تشكيلة النوبة حسب أهمية المدينة وحسب موقعها، حيث تتكون من صفرات **[الصفرة هي المائدة التي يجتمع حولها الإنكشارية للأكل أو مناقشة أمور الدولة، وتطلق أيضا على الكتيبة التي تتكون عادة من 16 إلى 21 مجندا] (معاشي، ج، 2007: 08)** يضم كل منها 23 رجلا.

وفي زمن الداي الحسين كانت في بايلك الغرب 4 نوبات: 10 صفرات في وهران، 5 في كل من تلمسان، معسكر، ومستغانم، وهو ما يساوي 575 رجلا من مجموع 1978 رجلا موزعين على كامل الإيالة **(Esterhazy, W. 1840: 237-238)**.

وإذا لم نأخذ بعين الاعتبار النوبة التي كانت تحت سلطة الآغا، وجدنا أن الباي لم يكن يملك أكثر من 250 رجلا مسلحا ضمن قوائم الجيش، غير أنه كان بإمكانه عند الحاجة أن يطلب من الآغا مساندته بالخزورجية التابعين له كما فعل الباي حسن حين أخذ معه 400 منهم في حملته ضد عين ماضي **(Esterhazy, W. 1840: 253-254)**.

أما حسب "التشريفات" فإن نوبات بايلك الغرب في 1829م كانت موزعة كالتالي دون أية مراعاة للْعددِ 23 الذي أشرنا إليه سابقا**(Devoulx, A. 1852 : 50)** :

النوبة	عدد الصفرات	عدد الرجال
نوبة زمورة	02	28
نوبة مستغانم	05	78
نوبة وهران	10	156
نوبة تلمسان	05	76
نوبة معسكر	03	42
المجموع	25	380

وفي كل نوبة يوجد سلاح **البومباجية** (المدفعية) تحت قيادة باش بومباجي، إضافة إلى المكلفين بالقذائف والمعروفين **بالطبجية [الطوبجي كلمة تركية تتكون من طوب بالباء المشربة بمعنى المدفع وأداة النسب التركية إلى الصنعة "جي"، والطوبجي هو المدفعي وجمعها الطبجية، وصيغة الجمع التركية هي الطوبجي لر أي المدفعيون] (بركات، م. 2000: 196)** ، وكانوا يخضعون للباش طبجي. وكل هؤلاء أتراك أو كراغلة، ويظلون في المدن التي يعينون بها ولا يغيرون معسكراتهم، حتى إذا خرج الباي في مهمة وكان بحاجة إليهم خرجوا معه.

2- **الزبنطوط (Esterhazy, W. 1840: 247-248):** لم يكونوا متزوجين، وكان الباي يعتمد على قوتهم فيضعهم في المقدمة في كل غزواته، وكانوا نخبة تشكل 05 خيام، ولهم بولوك باشي، أودا باشي ووكيل خرج، وخليفة الكرسي هو المكلف بهم.

ولكل واحد من الزبنطوط بغلة – على حساب البايلك – يقودها عرازا ARAZA أي سائس عربي يأخذ أجرته من الخزينة. وعلى رأس مجموعة العرازا مقدم عربي، حتى إذا ركب الزبنطوط بغالهم سار العرازا وراءهم.

وترتبط مكافآت الزبنطوط بالأموال المحصلة، فإذا كانت وفيرة حصل كل زبنطوط على 10 ريال بوجو بينما يكون نصيبه 03 فقط في حالة العكس. ولحثهم على القيام بأعمالهم على أكمل وجه يُعطَون وعودا بمكافآت فردية، حيث يكافأ الأربعة الأوائل منهم كل عام بمنحهم حق استغلال مقهى الزبنطوط الواقع بوهران.

ومما يدل على مكانة الزبنطوط أن مقهاهم هذا له حرمة عند البايلك، ففيه حق اللجوء لكل مخالف للقانون سواء قتل أو ضرب أحدا في شجار. وقد صار بعض رجالات الزبنطوط بايات مثل علي الذي خلف الباي بوكابوس، والباي حسن آخر بايات وهران الذي بدأ حياته ضمن هذه القوات.

3- **القوم:** رجال توفرهم القبائل ولاءً للبايلك لمساندة الباي **(دحماني، ت.2003: 42)** الذي يوزعهم على الخليفتين والآغوات والقياد حسب رغبته **(Esterhazy, W. 1840: 267)**.

4- **الصبايحية:** أصل الكلمة من سباهي، وهي كلمة فارسية بمعنى جندي، وتطلق على الفارس أو الجندي من فرقة الفرسان **(بن حموش، م. 2000: 274)** الذين تجندهم الدولة العثمانية مقابل استفادتهم من أراضي الإقطاع التي كانت تُمنح لهم، على أن يدفعوا ضريبة الخراج لخزينة الدولة، ويساهموا في تغطية نفقات الحرب ويشاركوا فيها عند الحاجة **(بربروس، خ. 2010: 21)**. وفي بايلك الغرب كان للباي منهم 50 جنديا تركيا يرافقونه في كل خرجاته **(Esterhazy, W. 1840: 246)**.

5- **المحلة:** القوة العسكرية الخاصة بتحصيل الضرائب والغرامات التي يفرضها الباي على القبائل، وعلى رأس هذه القوة قايد الدَّين، ولها عُشر ما تحصله من هذه الأموال. كما كان فرسان الباي مكلفين بتحصيل العشور ومرافقته من القبيلة حتى المرسى الكبير الذي يعطي المسؤول عنه (قايد المرسى) للقبائل وصلا بذلك **(Esterhazy, W. 1840: 246)**.

6- **قوات المخزن:** نظرا لضعف قوة الأتراك العسكرية لجأوا إلى تجنيد الأهالي بشكل غير رسمي، فاستعانوا بالمخزن، حتى قيل إنه منذ عهد الباي مصطفى المنزالي لم تُطلق رصاصة من قبل "تركي" في أية حملة، لأن قبائل المخزن هي التي كانت تتكفل بذلك **(Esterhazy, W. 1840: 262)**، ومن المخزنِ الزمالةُ التي لا يشكل جنودها أي تجانس من حيث الأصل الذي ينحدرون منه، وإنما تربط بينهم خدمتهم للبايلك مقابل امتيازات **(Guin, 1863: 294)**.

قوات المخزن تحت سلطة حسن بن موسى آخر بايات وهران حسبما استقاه أسترازي من الخوجة الصغير التابع لخليفة الباي (Esterhazy, W. 1840: 282-283):

القبيلة	عدد الفرسان
الدوايـر	1500
الزمالة	1100

الحشم	2000
البرجية	500
العوارة (سجرارة- بني شقران- شارب الريح – بني غدو)	100
المكاحلية	200
أولاد حامد + أولاد بوغرارة	50
أولاد سلامة (أولاد عدة – أولاد زرفة – أولاد علجة)	100
عكرمة	100
أولاد العباس	200
أولاد خويدم	100
أولاد خضرة	50
أولاد قويدر	50
عبيد الشراقة	500
المجموع	**6550**

استخلاص: مثّل بايلك الغرب من الناحية السياسية الواجهةَ العسكرية لإيالة الجزائر بقربه من إسبانيا واحتوائه على وهران والمرسى الكبير المستعمرتين منذ بداية ق 16م، ولذلك ظل طابعه مختلفا مقارنة ببقية البايلكات، خصوصا وقد تأثر بوقوعه على حدود المغرب الأقصى الشرقية من خلال الصراع المستمر بين البلدين والذي انعكس على قبائل المنطقة التي عرفت - في ظل هذه الظروف - حركية مستمرة لم تنته حتى بعد دخول الاستعمار الفرنسي.

وكان التحالف الذي تم بين الإسبان في وهران وبعض القبائل القريبة منها قد أمدّ في عمر الاحتلال حيث مثّل بنو عامر وقيزة وكرشتل وأولاد علي وغيرهم قاعدة خلفية زودت الحاميات الإسبانية بما احتاجت إليه على مدى أكثر من قرنين ونصف القرن. ولذلك كان موقف السلطة والمجتمع على السواء منها موقفا متصلبا، حيث لم يتوانَ البايلك في قمعها كلما كانت الفرصة سانحة، ولم يتأخر العلماء في فضح أفعالها والتشنيع بها وبيان موقف الشرع منها.

ومن خلال هذه التفاعلات المختلفة تبدو نجاعة التنظيم الإداري والعسكري الذي استحدثته السلطة العثمانية ببايلك الغرب، وإلا لكانت هذه المنظومة قد انهارت ولم تستطع تحمّل تبعات الوجود الإسباني وتحالف بعض القبائل معه. غير أن هذا التنظيم - من جهة أخرى -لم يسلم من النقص، فمثلما

حافظ على البلاد وحمى حدودها ووفر الأموال للخزينة تحول إلى أداة بيد السلطة لطالما روّعت الآمنين وأجبرت البسطاء على دفع الضرائب بل وسلبتهم أراضيهم وهجرتهم منها.

البيبليوغرافيا:

1- ابن ميمون، محمد، 1981، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تحقيق وتقديم محمد ابن عبد الكريم، ط2، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع

2- بربروس، خير الدين، (2010)، مذكرات خير الدين بربروس، ترجمة محمد دراج، ط1، الجزائر: شركة الأصالة للنشر والتوزيع

3- بن حموش، مصطفى، (2000)، فقه العمران الإسلامي من خلال الأرشيف العثماني الجزائري (1549-1830)، ط1، دبي: دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث

4- بوجلال، قدور، (2008 – 2009) العلم والعلماء في بايلك الغرب، مذكرة غير منشورة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة معسكر، الجزائر

5- بوعزيز، يحي، (2009)، مدينة وهران عبر التاريخ، طبعة خاصة، الجزائر: دار البصائر

6- بوغوفالة، ودان، (2001)، "الأوقاف بالناحية الوهرانية: أوقاف مليانة نموذجا"، دراسات إنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، عدد خاص، ص ص 204-222

7- خوجة، حمدان، (1982) المرآة، تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري، ط2، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع

8- دحماني توفيق، (2003-2004) النظام الضريبي ببايلك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني، مذكرة غير منشورة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر

9- دحماني، توفيق، (2009) "دراسة اجتماعية لتيهرت في أواخر العهد العثماني" الخلدونية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تيارت، عدد خاص، ص ص 148 – 161

10- الزهار، الحاج أحمد الشريف، 1972، مذكرات الحاج أحمد الشريف نقيب أشراف الجزائر، تحقيق أحمد توفيق المدني، ط1، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع

11- الزياني، محمد بن يوسف، 2007، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تقديم وتعليق المهدي البوعبدلي، ط2، الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية

12- سعد الله، أبو القاسم، (1985)، تاريخ الجزائر الثقافي، من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر الهجريين (16م – 20م)، ج 2، ط 2، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب

13- سعيدوني، ناصر الدين، 2000، ورقات جزائرية، ط 1، بيروت: دار الغرب الإسلامي

14- شويتام، أرزقي، (2006-2007) المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني، 1519 – 1830، رسالة غير منشورة لنيل درجة دكتوراه، جامعة الجزائر، الجزائر

15- الكتاني، عبد الحي، (1982)، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، ج 2، ط 2، بيروت: دار الغرب الإسلامي

16- محفوظ سماتي، (2007)، الأمة الجزائرية؛ نشأتها وتطورها، ترجمة محمد الصغير بناني وعبد العزيز بوشعيب، د ط، سوريا: منشورات دار حلب

17- مروش، المنور، 2009، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني؛ العملة، الأسعار والمداخيل، ج1، ط 1، الجزائر: دار القصبة للنشر

18- المزاري، ابن عودة، 2009، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تحقيق ودراسة يحيى بوعزيز، ج 1، طبعة خاصة، الجزائر: دار البصائر للنشر والتوزيع

19- المشرفي، عبد القادر، د ت، بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر، تحقيق وتقديم محمد بن عبد الكريم، د ط، بيروت: دار مكتبة الحياة

20- مصطفى بركات، (2000)، الألقاب والوظائف العثمانية، ط1، القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع

21- معاشي، جميلة، (2007- 2008) الإنكشارية والمجتمع ببايلك قسنطينة في نهاية العهد العثماني، رسالة غير منشورة لنيل درجة دكتوراه، جامعة قسنطينة، الجزائر

22- الواليش، فتيحة، (1993-1994) الحياة الحضرية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن الثامن عشر، مذكرة غير منشورة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة وهران، الجزائر

23- الوزان، الحسن، 1983، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي و محمد الأخضر، ج2، ط 2، بيروت: دار الغرب الإسلامي

24- الوهراني، مسلم بن عبد القادر، 1974، أنيس الغريب والمسافر، تقديم وتحقيق رابح بونار، ط1، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع

25- Boyer, Pierre, (1977) « Historique des Béni Amer d'Oranie, des origines au Senatus Consulte », Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, N°24, pp 39-85

26- Chitour, Chems Eddine, (2004), Algérie, le passé revisité, 2ème édition Edition, Alger: Casbah

27- Devoulx, Albert, 1852, Tachrifat, Recueil de notes historiques sur l'administration de l'ancienne régence d'Alger, Alger, Imprimerie du Gouvernement.

28- Esterhazy, W, 1840, De la Domination turque dans l'ancienne régence d'Alger, Paris

29- Gorguos, (1856) « Expédition de Mohammed El Kebir Bey de Mascara dans les contrées du Sud» Revue Africaine, Vol № 1

30- Guin, 1863, «Note sur le Bey Mohammed dit El-Bey Debbah », Revue Africaine, vol № 7, pp 239-298

31- Rinn, L, 1900, le royaume d'Alger sous le dernier Dey, Alger

32- Tassy, Laugier de, sans date, Histoire du Royaume d'Alger, Amsterdam: Henri du Sauzet